وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ما شاء الله تعالى ثم اتصل
الي اني صرفت عنها وكنت كسبت بها ثلاثين الف دينار فخشيت ان يفجأني الصارف فيسمع بمكان
المال فيطمع فيه فصغته عشرة الاف اهليلجة في كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف
الى ان اتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت ان الجاحظ بها وانه عليل بالفالج فأحببت
ان اراه قبل وفاته فصرت اليه فأفضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت الي خادمة
فقالت من انت فقلت رجل غريب واحب ان اسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادمة ما قلته
فسمعته يقول قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لا بد
من الوصول اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال احب ان اراه
فأقول قد رأيت الجاحظ ثم اذن لي فدخلت فسلمت عليه فرد ردا جميلا وقال من تكون اعزك الله
فانتسبت له فقال رحم الله اسلافك واباءك السمحاء الاجواد فلقد كانت ايامهم رياض
الازمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت انا اسألك ان تنشدني
من شعرك فأنشدني قوله

لئن قدمت قبلي رجال فطالما ... مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه ... فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قاربت الدهليز قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال فان
الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه فقلت نعم وخرجت متعجبا من وقوفه على خبري
مع كتماني له وبعثت اليه مائة اهليلجة وقال ابو الحسن البرمكي انشدني الجاحظ

وكان لنا اصدقاء مضوا ... تفانوا جميعا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤوس المنون ... فمات الصديق ومات العدو

وكانت وفاة الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين
سنة رحمه الله تعالى وبحر بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وبعدها راء ومحبوب بفتح
الميم وسكون الحاء المهملة وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها باء موحدة والجاحظ
بفتح الجيم وبعد الالف حاء مهملة مكسورة وبعدها ظاء معجمة والكناني بكسر الكاف وفتح النون
وبعد الالف نون ثانية والليثي بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة
هذه النسبة الى ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول
الكاتب وكنيته ابو الفضل احد وزراء المأمون ذكر الخطيب في تاريخ بغداد انه ابن عم ابراهيم
بن العباس الصولي الشاعر وقد تقدم ذكره وكان كاتبا بليغا جزل العبارة وجيزها سديد
المقاصد والمعاني ولما كان الفضل بن سهل اخو الحسن بن سهل وزير المأمون لم يكن لاحد معه
كلام لاستيلائه على المأمون فلما قتل سهل عليه الوزراء بعد ذلك وهم احمد بن ابي خالد الاحول وعمرو بن
مسعدة المذكور وابو عباد وكان المأمون قد امره ان يكتب لشخص كتابا الى بعض العمال بالوصية عليه
وبالاعتناء بامره له اليك كتاب واثق بمن كتبت اليه معني بمن كتبت له ولن يضيع بين الثقة
والعناية موصله والسلام وقيل ان هذا من كلام الحسن بن وهب والاول اصح واشهر وقال
عمرو بن مسعدة المذكور كنت اوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرفع اليه غلمانه ورقة يستزيدونه
في رواتبهم فرمى بها الي وقال اجب عنها فكتبت عليها قليل دائم خير من كثير منقطع فضرب بيده

عمرو بن مسعدة
الكاتب وزير المأمون

على ظهري وقال اي وزير في جلدك وله كل معنى بديع وتوفي في سنة سبع عشرة ومائتين
بموضع يقال له اذنه وذكر الجهشياري في كتاب الوزراء انه توفي في شهر ربيع الاخر سنة
خمس عشرة ومائتين والله اعلم ولما مات رفعت الى المأمون رقعة انه خلف ثمانين الف الف
درهم فوقع في ظهرها هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف
واحسن لهم النظر فيما ترك وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب انه لما مات عرض ما خلف
بعرض المال وذكر غيره رحمه الله تعالى ومسعدة بفتح الميم وسكون السين المهملة وفتح العين
والدال المهملتين واذنه بفتح الهمزة والذال المعجمة والنون وهي بليدة بساحل الشام عند
طرطوس بنى حصنها سنة اربع واربعين ومائة وبعد انتهائي الى هذا الموضع ظفرت له برسالة
بديعة كتبها الى بعض الرؤساء وقد تزوجت امه فساءه ذلك فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها
وذهب عنه ما كان يجده فآثرت الاتيان بها لحسنها وهي الحمد لله الذي كشف عنا ستر
الحيرة وهدانا ستر العورة وجدع بما شرع من الحلال انف الغيرة ومنع من عضل الامهات
كما منع من وأد البنات استنزالا للنفوس الابية عن الحمية حمية الجاهلية ثم عرض لجزيل الاجر
من استسلم لواقع قضائه وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه وهنأك الذي شرح
للتقوى صدرك ووسع في البلوى صبرك والهمك من التسليم لمشيئته والرضا بقضيته
ما وفقك له من قضاء الواجب في احد ابويك ومن عظم حقه عليك وجعل تعالى جده
ما تجرعته من انف وكظمته من اسف معدودا فيما يعظم به اجرك ويجزل عليه ذخرك وقرن
الحاضر من امتعاضك بتفعلها المنتظر من ارتماضك بدفنها فتستوفي بها المصيبة وتستكمل
عنها المثوبة فوصل الله لسيدي ما استنفره من الصبر على عرسها بما يستكسبه من الصبر على
نفسها وعوضه من اسره في نعشها اعواد نعشها وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة
معرى من نقمة وما يليه بعد قبضها من منحة مبرأ من محنة فاحكام الله تعالى جده وتقدست
اسماؤه جارية على غير مراد المخلوقين لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة
وابقى لهم في الآجلة اختار الله لك في قبضها اليه وقدومها عليه ما هو انفع لها واولى بها
وجعل القبر كفوا لها والسلام وقيل ان هذه الرسالة لابي الفضل بن العميد الآتي ذكره و
لقد ذكرني هذه الرسالة بيتين للصاحب بن عباد في شخص تزوج امه وهما عن لسان ولده
فقال فعلت حلالا يجوز فقلت صدقت حلالا فعلت ولكني سمعت بصفع اللحى وكتب عمرو الى
اصحابه يعزي عليه اما بعد وصل كتابي اليك سالم والسلام اراد قول الشاعر يديرونني
عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالم اي يحل مني هذا المحل وانشد محمد بن داود
بن الجراح لمحمد البيدق النصيبي في عمرو بن مسعدة وقد اشتكى

قالوا ابو الفضل معتل فقلت لهم ... نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علته بي ثم كان له ... اجر العليل واني غير مأجور

وكانت بين عمرو المذكور وبين ابراهيم بن العباس الصولي المتقدم ذكره مودة فحصل
لابراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الاوقات فبعث له عمرو مالا فكتب اليه ابراهيم

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي ... ايادي لم تمنن وان هي جلت

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1